Issue 3064 Monday 4/8/2008
الزمان – السنة الحادية عشرة العدد 3064 الاثنين 2 من شعبان 1429 هـ 4 من اب (اغسطس) 2008م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/11 , UK

# (مجاهدي خلق) .. ورقة الضغط الجاهزة

عماد علو
بغداد

يبدو ان دخول واشنطن بصورة مباشرة على خط المفاوضات الايرانية الاوربية بشأن حزمة الحوافز الدولية مقابل وقف انشطة التخصيب في البرنامج النووي الايراني ماشتراك نائب وزيرة الخارجية الأمريكية وليم بيرنز قد اشر بداية لدوبان الجليد في العلاقات الأمريكية الايرانية بشان العديد من القضايا العالقة المتمثلة بالملفين العراقي والنووي الايراني. واذا كانت الأوضاع الاقليمية والدولية اليوم تتجه نحو المطالبة بتقليل وتجنب التوترات الاقليمية ولاسيما في منطقة الخليج العربي، فبانه من باب اولى على واشنطن والتي تملك حشدا عسكريا ضخما في المنطقة ان تتجه الى (التهدئة) و(الحوار) بدلا من لغة التهديد والتلويح باللجوء الى (ضربة استباقية) لحماية حلفائها ومصالحها في المنطقة من اي تهديد ايراني محتمل ! وكان تقرير لجنة بيكر - هاملتون بشان العراق قد طالب ادارة الرئيس بوش باجراء مباحثات بين الولايات المتحدة الامريكية والجمهورية الاسلامية الايرانية وسوريا بشان الملف العراقي ومستقبل الأوضاع في هذا البلد ، الأمر الذي يجعل من ايران اللاعب الرئيس والأكثر خطورة في ما يتعلق بالمستقبل السياسي والأمني ليس في العراق فقط وانما في عموم المنطقة . وكان ان بدات سلسلة من الاجتماعات واللقاءات المباشرة بين الجانب الأمريكي والايراني في بغداد بشأن عدد من الملفات لم يعلن عنها لحد الآن الا ان الأمر بدا وكأنه اعتراف أمريكي بالدور والنفوذ الايراني في العراق سواء كان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر . الأمر الذي من شأنه أن يجعل ايران لاعبا اساسيا في لعبة التوازنات السياسية القائمة في المنطقة و أن يفتح افاقاً لتوسعها في منطقة الخليج العربي الغنية بالبترول وذات الاغلبية المذهبية المتعاطفة مع نظام الثورة الإسلامية في ايران .على الرغم من اعتقاد الكثير من قادة المنطقة العرب ان اي تقارب ايراني امريكي بشأن العراق من شأنه ان يلحق اضرارا بالغة بدول المنطقة ومصالحها وامن انظمتها السياسية . كما يؤشر في الوقت نفسه تناقضا واضحا مع الخطاب السياسي الأمريكي المعلن المعادي لايران بشأن ملفها النووي وتدخلها المباشر والمؤذي في كل من العراق ولبنان. وعليه فان اي تحرك لدبلوماسيين ايرانيين او لتنقل بين سعيد جليلي ووليم بيرنز قد تكون ضرورية لمناقشة التساؤلات التي سنحاول الاجابة عليها في هذه المقالة :

> ان التناقض الظاهري في الخطاب السياسي الأمريكي المعلن المعادي لايران مع توجهها لاجراء مباحثات بشان ملف طهران النووي و العراق يوما بعد يوم بين واشنطن وطهران

## الضوء الأخضر

على الرغم من قيام الولايات المتحدة الأمريكية بوضع معسكرات منظمة مجاهدي خلق الايرانية المعارضة في العراق تحت حمايتها بعد احتلالها للعراق الا ان الاختراق الإيراني للساحة العراقية ما كان ليصل الى هذا المستوى من التدخل والاختراق لولا وجود موافقة امريكية ضمنية عليه. لان من المنطقي ان اي تحرك لدبلوماسيين ايرانيين او لتنقل بضائع بين العراق وايران او اي فعاليات لمسؤولين عراقيين داخل او خارج العراق ما كانت لتتم دون علم المخابرات الأمريكية في العراق ، خصوصا وان ادارة مدنية امريكية حكمت العراق بعد احتلاله في 2003/4/9. ان الضوء الأخضر الأمريكي للتدخل الايراني في العراق ليس غريبا عن سياقه التاريخي حيث انه وبحسب هنري كيسنجر في كتابه المعروف هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية (ليس هناك من حافز جيوسياسي امريكي للعداء بين ايران والولايات المتحدة) ولان (الولايات المتحدة لن تكون قادرة على التطفيف من حدة ايران الاصولية اذا لم يمكنها التعامل مع عراق مهزوم) وبما انه(ليس لدى الولايات المتحدة مصلحة يمكن تخيلها في السيطرة على ايران كما يدعي الحالمون الآن) . فلا مانع لدى الولايات المتحدة من التعاون مع طهران في تطويع الداخل العراقي لمصلحتيهما معا ، وضمن هذا السياق يمكننا تفسير المواقف الايرانية على صعيد الاحداث الدولية مثل دورها في اسقاط نظامي طالبان وصدام حسين حسب اعتراف نائب الرئيس الايراني السابق السيد محمد علي ابطحي في احد المؤتمرات الدولية عام 2004 ودور ايران في انجاح مؤتمر روما الخاص بالقضية الأفغانية . وهذا يعكس فهما وتصورا أمريكيا لطبيعة الصراعات وتشابك وتنوع التناقضات المذهبية في العالمين العربي والاسلامي وخصوصا أن واشنطن ليست في وضع يمكنها من التحرك عسكريا ضد ايران(انظر جورج فريدمان مستقبل العراق البحث عن توازن تجاه ايران مجلة المستقبل العربي العدد 314 بيروت نيسان 2005،ص 84) على الاقل في المستقبل المنظور. فكما دعمت وسخرت التناقض بين الدين الاسلامي والمد الشيوعي لصالحها سابقا في افغانستان وغيرها ، فان واشنطن تحاول تحجيم التيارات الأصولية الاسلامية المناهضة لمشروعها في الشرق الأوسط والتي قد تشكل ارضا خصبة لاحتضان التنظيمات الاصولية المسلحة المناهضة للولايات المتحدة عن طريق دعم الطوائف والمذاهب التي تتقاطع مع تلك التيارات الأصولية والمذهبية لجهة خلق بيئة اقليمية هشة تتسم بالتناقضات والتناحرات الطائفية والمذهبية وحتى العرقية الأمر الذي يؤسس لعدد من المبررات لاستمرار الوجود العسكري الأمريكي والغربي في المنطقة بشكل عام وفي العراق بشكل خاص ، بدعوى محاربة الارهاب أو التطرف الاسلامي !!

## التناقض الظاهري

ان التناقض الظاهري في الخطاب السياسي الأمريكي المعلن المعادي لايران مع توجهها لاجراء مباحثات بشان ملف طهران النووي و العراق عكسته تصاعد الحملات الدبلوماسية يوما بعد يوم بين واشنطن وطهران لاسباب ودوافع المعلن منها يتعلق بالملف النووي الايراني والمخفي منها يتعلق بالصراع بين المشروعين الأمريكي والإيراني على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط وبالذات منطقة الخليج العربي . فالتدخل الايراني الكبير والمتزايد في العراق بات بشكل بيئة غير مريحة لقوات الاحتلال الأمريكي والبريطاني في العراق ، لصالح ايران. وهذا ما اكدته وزيرة الخارجية الأمريكية بقولها (ان لدى النظام الايراني طموحات وسياسات عقائدية تشكل، بصراحة ، تحدياً لنوع الشرق الأوسط الذي اعتقد اننا جميعا نرغب في رؤيته) .هذا من جهة ومن جهة أخرى فان سعي الإدارة الأمريكية لفرض وجهة نظرها في حل القضية الفلسطينية بات يصطدم بعقبة حزب الله اللبناني المدعوم بقوة من قبل طهران . وعلى الرغم من طلب وزيرة الخارجية الأمريكية كوندالیزا رایس من الكونغرس في 15 شباط (فبراير) 2006، اعتمادا اضافيا قدره 75 مليون دولار لدعم نشاطات (ترويج الديمقراطية في ايران) كان يبدو مؤشرا على نية واشنطن تصعيد حملتها الدبلوماسية لخلق بيئة دولية واقليمية لأي تحرك أمريكي من نوع اخر ضد طهران ، الا ان واقع الحال اليوم لا يبدو متناسقا مع اتجاهات الخطاب الاعلامي الأمريكي المناهض لايران . وعليه يمكننا القول ان الأمر لا يعدو كونه تناقضا ظاهريا ترمي واشنطن من ورائه طمأنة حلفائها في منطقة الخليج العربي ، وان الحقيقة التي اكدتها الأحداث حتى الان ان هناك تلاقيا واضحا في المصالح الأمريكية والإيرانية بشأن العديد من الملفات الساخنة في المنطقة وخصوصا في العراق تحكم اتجاه ومسار العلاقات بين واشنطن وطهران.

---

الحلقة الثانية

### تصدع النظام القيمي العراقي وإنحرافاته

# النكبات تكشف إزدواجية القيم

سعد العبيدي
لندن

بعد العام 1990 نقطة تحول في التاريخ العراقي وحدثٌ شملت تأثيراته كل مجالات الحياة وبينها النظام القيمي الذي تتغير انساقه عادة بشكل تدريجي تبعا للأحداث والضغوط وأساليب التعامل تغيرا يتوقف مقداره وسرعة حدوثه على كم تلك المتغيرات من جهة وشدتها من جهة أخرى.

واذا كانت المرحلة الأولى لحكم صدام حسين (الحرب مع ايران) قد ساهمت بحرف القيم سلبيا فان المرحلة الثانية (غزو الكويت واستمرار تطبيق الحصار) قد ادت الى تصديع نظامها، لان الأحداث والضغوط من الكثرة و الشدة لم يالفه المجتمع العراقي وأساليب التعامل معه لا يمكن عدها سوية بكل المعايير السائدة في المجتمعات الدولية كافة

والبداية كانت مع الكويت احتلال وضع النهاريرغم وعود أعطيت الى العرب والاصدقاء بعدم المساس بسيادتها

## اغواء البنات

ا . الشرف

بدات الدولة عام 1968 بشكل محدود وبعد عام 1979 بشكل واسع انشاء محال صغيرة (اكشاك) قرب الكليات والمعاهد والدوائر المهمة في بغداد لغايات امنية استخدمت في كثير من الاحيان لاغواء البنات وارسالها الى المزارع الخاصة والقصور الفخمة، واستمر هذا سلوكا بينا لدى الرئيس وبعض قادته انتقل الى الابناء الذين غالوا بممارسته لمستوى عال في نوادي الصيد والعلوية والفروسية بشكل مباشر وعن طريق وكلاء معروفين بسقوط اخلاقهم بشكل غير مباشر. وفيه كان عدي سباقا ومن بعده قصي لا هم لهم الا الاغواء والتوريط . يليهم بالمرتبة الثانية اولاد خيرالله الذي لم يكن نزيها هو الآخر والمجيد المتعطشين الى الجاه والمال بوساطتهم المعروفة بالترغيب والضغط والاكراه. وهذا سلوك شائن امتدت معالمه الى الأقرباء واولاد بعض المسؤولين المسعورين الذين لا يجدون ما يتفاخرون به في جلساتهم الخاصة سوى اعداد البنات التي اختطفت او سقطت بين ايديهم او تلك التي قتلت لاستنكافها تسليم نفسها ضحية للاغتصاب، ويكون الفرد ابقاء الحقوق الدنيا للعائلة والاخوة والصداقة ولم تضعف معايير النخوة اتجاه الاخ والقريب فقط وانما وضعت العراقيين في حالة لا ينتخون فيها مجاميع مخالفة للتخلص من مصيبتهم المشتركة (نظام الحكم) التي اوصلتهم الى حالة الذري وحياة البؤس والعوز والشقاء

و الأمانة

لم تعد المحافظة او عدم المحافظة على مال الغير مشكلة يعيرها العراقيون اهتماما في الوقت الحاضر، وفيها نسمع ان فلانا قد اودع مبلغا عند صديق ليحافظ عليه او ليشغله وبعد ان احتاجه طلب من صديقه ارجاع الامانة فاعتذر الصديق لانه تصرف بالمبلغ.

وقسم ابو قراط في امانة الطب المهنية وضعه بعض الاطباء جانبا فبات من السهل ان نسمع مريضا في خطر ابقي خارج غرفة العمليات حتى يسدد اهله الثامينات اللازمة.

وقسم الضباط في الكلية العسكرية بصيانة الامانة والذود عن الوطن نسيه العديد منهم في خضم الحسرة على وطن احرقه القادة عمدا فبات من المالوف ان ترى بعضهم يتمنع بحرق قرية في الافوار او بازالة اخرى من على خافات الجبال دون ان يجهد نفسه بالتفكير عن الخاطر الحقيقية التي تهدد وطنه.

وميزان العدالة ازاحه بعض القضاة من على منافسهم وقبلوا الحكم بالاعدام على قوائم اسماء ارسلت اليهم من الرئاسة وهم يعرفون ان من فيها قتل تصفية او تعذيبا في اوقات سابقة.

والأمانة العلمية لم يلتزاوجها قسم من الأساتذة والباحثين فحسب بل تعودوا الشهكم على من يذكرها بحضورهم واصبح نجاح الطالب بمقابل مادي مقبولا، وبيع الأسئلة في الامتحانات الوزارية ليس غريبا، وتحوير نتائج البحوث بما يرضي الحاكم دارجا.

واذا كان الأمر كذلك فكيف لنا ان نعتب على نائب ضابط في دوائر التجنيد يخفي معاملة تسريح جندي مكلف لحين تقاضي الثمن المناسب. وعلى مفوض المرور وهو يساوم على ثمن تسوية مخالفة مرورية . وعلى موظف في التسجيل العقاري طلب مبلغا ضخما من المال لقاء تسجيل ارض سكنية مملوكة لشخص غادر العراق قبل سنين باسم اخر زورا.

وعلى ضابط في السفر والجنسية حمد مبلغا ليس قليلا لقاء اخراج جواز سفر لشخص ممنوع من السفر.

وعلى ضابط شرطة غير الفادات المليمين وأخفى الأدلة الجرمية لجريمة مجرم من تهمة قتل لقاء ملايين من الدنانير.

وعلى منتسبي مركز شرطة اتفقوا مع موقوفين بعهدتهم على الخروج ليلا للسطو على بيت او محل لهم نصيب في مكاسبه.

وغيرها كثير من اوجه الخلل ذات الصلة بالأمانة في كافة جوانبها والتي يتجاوز بعضها مسائل الخيانة بالصنع المذكورة في اعلاه الى ابعد من ذلك بكثير لتصل الى مستويات الحط من كرامة الانسان والاخلال بانسانيته بشكل لا يصدق كما في حالة رجل من بغداد وصل آمن البصرة صيف عام 1998 يسال عن ابنه المفقود من عدة شهور، بعد ان اعياه السؤال في دوائر الشرطة والمستشفيات ومحيطه كان بتوصية من ضابط امن في بغداد لصديق في امن البصرة، وبعد ان التقاه على موائد الطعام اكثر من مرة كان اخرها في كازينو على شط العرب جلسوا وشخص اخر يعتقد انه مفوض بالأمن ، واثناء تداول الحديث مر قريبهما شاب يبدو على مظهره معاناة لمرض عقلي، فقال الضابط الى زميله إهذا هو صيد اليوم اتبعه) . وبعد اكثر من نصف ساعة عاد المفوض مشيرا الى اسم المريض وعنوانه في المنطقة التي تقع خلف فندق الشيراتون. عندها استغرب الأب ومال الضابط ما علاقة الأمن بالمجانين، وهنا دخل الضابط الى الموضوع مباشرة فقال اذا كان عندك شخص محكوم بالاعدام لأي سبب كان فلدينه خمسة وعشرون مليونا فراد استغراب الأب مستفسرا وما علاقة المريض بالموضوع فاجاب الضابط ان الأمن العامة تامر في الأشهر الأخيرة ان ترسل لها جثة المعدوم، وهنا يدخل دور المريض اذ اننا وعندما ياتينا طالب فدية الى ابنه او اخيه المحكوم بالاعدام نذهب ونجلب المريض من الشارع ونعدمه بدلا من المحكوم فنحصل على المبلغ المذكور وطبعا لا احد يتابع موضوعه حتى الأقل الذين يعتقدون انه تاه عنهم او مات خطئا، وختم حديثه الغريب هذا بالطلب من السامع ان يطمئن على ابنه حتى وان كان محكوما بالاعدام لان خروجه معكلا ما تيسر المقسوم.

وهذه وقائع واخرى غيرها تؤشر هدما لكل القيم الانسانية، وارضية لانهيار قيمي سيخل بالامن النفس الاجتماعي لعموم العراق.

الآثار المحتملة للتصدع القيمي في العراق

ان واقع العراق المأساوي من الوضوح حدا لا حاجة لاثباته عمليا، وان المستقبل فيه مؤجلا لا يستحق تسليط الضوء عليه كثير من العناء، لاننا وان تجاوزنا الاقتصار عاملاً مؤثراً في كل مفردات الحياة وافترضنا ان ترميمه قد يحدث بعد رفع الحصار وانتهاء الأزمة.

واذا غضينا الطرف عن التردي في العملية التربوية والتاخر الحضاري الذي حل في العراق بسببها واقتعنا انفسنا اللحاق بالركب ولو من بعيد بعد تحسن الموقف.

واذا ما تركنا موضوع الجيش واعداده ووحدته وانضباطه ومعنوياته جانبا واقتصرت تكريانا على مصائب حروب افتعلها صدام، ومشاهد القتل والتدمير التي تخللتها وتمنينا ان لا تكون لنا حاجة باعادة تنظيم هذا الجيش الذي عد يوما الخامس في العالم.

واذا ما نسينا افعال الشرطة والأجهزة الأمنية واتفقنا اغلبية على تحجيمها وهدم سجونها وتقليل ميزانيتها واختيار ملاكاتها من غير الفئة والمجرمين، وبدلنا كل الجهد جماعيا لتقييد حركتها قانونيا .

واذا ما قلنا من اهمية الاضطراب الاداري في عموم دوائر الدولة وتقاعسنا بامكانية الترميم على اساس النزاهة والكفاءة والتخصص لمرحلة ما بعد صدام.

واذا ما عاد المسفرون بعد عشرات السنين من غربة ارهقتهم اتضافا لحقهم في ارض الوطن، واذا ما رجع المهجرون الى قراهم ضمانا لحقوقهم وسعيا لاستقرارهم.

واذا ما استرجع المطبوخون اموالهم واراضيهم وبيوتهم من المغتصبين.

واذا ما اعلنت اسماء المقلوبين شهداء مدفونين بلا هوية في اراضي الثرثار وبادية النجف وكربلاء وعلى حافات اهوار الجنوب وسفوح الجبال واعترفنا بفضلهم الجهادي علينا واقمنا لهم النصب التذكارية وفاءاً لذكراهم.

واذا ما سددت مليارات الدولارات ديون العراق والتزاماته حسطة او تم التنازل عنها لمنا لذنب العراق والعراقيين.

واذا ما اعيد بناء البنى التحتية سريعا وعاود العراقيون مزاولة اعمالهم بعيدا عن شبح البطالة والتضخم والاستغلال.

واذا ما قبل العرب عراق بلا ذنوب في مصالحة التقبيل على موائد الطعام.

واذا ما اعيدت للعراق مكانته اقليميا ودوليا في النظام العالمي الجديد واذا وافترضنا (خلافا لمنطق العلم) ان كل تلك قد تحقق وان اثاره المادية قد انتهت بانتهائه او بعده بقليل.

و نتناول فقط الجوانب الأخرى غير المادية بينها القيمية (برغم التداخل الحاصل بينهما) وعلى اساسها نحاول الاجابة عن اسئلة صيغت من بين متن الموضوع وفقراته المتعددة املاً في ان تعطي الاجابة عنها تصورا قريبا نسبيا عن مدى التصدع الحاصل في الجانب القيمي للعراقيين والاخطار الناجمة عنه، منها:

ماذا نتوقع من مجتمع جند اكثر من نصفه في الجيش والحرس الجمهوري والأجهزة الأمنية والحزب، وهم يغالون في تنفيذ اوامر السلطات نهاراً وينتقدونها حد الشتيمة في جلساتهم الخاصة ليلاً!

والاجابة على هذا السؤال لا تتوقف عند ترسيخ وتعميق الازدواجية التي اتهمت بها الشخصية العراقية عبر القرون بل تتعداها الى ما يحدث من تعارض وتضاد في النسق القيمي بين عنصري الاعتقاد والوجدان وما يحدث بين الاعتقاد والسلوك والوجدان والسلوك او بين كليهما والسلوك الذي يؤدي بمحصلته النهائية الى لوم الذات واحتقارها حد المسخ لكيان شخصيتها.

الاوامر بالنهب والاستيلاء والاستباحة للممتلكات العامة والخاصة برغم اعلانها محافظة عراقية خلافاً للمواثيق الدولية، توجيهات بالقتل والأسر وهتك الأعراض برغم ادعاء الاخوة والمصير المشترك، سلوك شاذ ورغبة في الايذاء وغطرسة خاوية بداها القادة والاقارب سرعان ما انتقلت عن طريق الايحاء والتقليد والحاجة وضعف الضمير الى المستويات القيادية الأقل ومن ثم الى الخاصية التي تنامت مستوياتها واتسعت شموليتها عطلت معايير الضبط السلوكي لشريحة ليست قليلة من المجتمع بعد ان:

سارع الأغنياء المستغلون لمزيد من الاستغلال مدفوعين بهوس الاكتناز وقلق الحفاظ على الأمن الذاتي.

سعى الفقراء في كل الاتجاهات لسد حاجات البقاء على قيد الحياة من المال العام الذي شيعه الحاكم سفاً ووضع له حراسا من طرفه بانوا خصما لطالبي الحاجات.

2. اختلال الروح الوطنية

الوطنية شعور بالانتماء ورغبة بالدفاع وميل الى التالف واحساس بالرضى والانتماء وامان في وطن رموزه الأرض والناس والنظام لتحقيق الزمن.

وهي على وجه العموم ليست ثابتة او بمعنى اخر لبناتها نسبي، تتاثر مستوياته سلباً او ايجابا بالعديد من المتغيرات بينها مدى التمتع بالحقوق والاحساس بالعدالة والمساواة وحريات تحقيق الأماني والأهداف وغيرها امورا يتعلق مقدار تعزيز وجودها بالادارة العامة للمجتمع واساليبها في التعامل معه افرادا وجماعات. واذا ما اردنا مناقشة طبيعة هذه الادارة في العراق خلال الثلاثين سنة الأخيرة ومدى انعكاساتها على الروح الوطنية نجد:

ا. ان التفرد بالسلطة وادارة المجتمع على وفق الدكتاتورية اضعف من علاقة الفرد بالدولة كاحد رموز الوطنية.

ب. دخول حربين مختلفتين اهدافهما مبهمة ونتائجهما سلبية وخسائرهما المادية والبشرية فادحة احبط عموم العراقيين واثار مشاعر عدوانهم على الدولة ونظام الحكم.

ج. التحول في مستوى المعيشة من الجيد والوسط الى دون مستويات الفقر اضعف من ترابط الناس فيما بينهم وكذلك مع الرموز الوطنية على وجه العموم.

د. اللجوء الى الاختطاف والقتل والتعذيب والتنكيل بالانسان العراقي المادية والبشرية فادحة احبط عموم العراقيين واثار مشاعر عدوانهم على الدولة ونظام الحكم.

ج. التحول في مستوى المعيشة من الجيد والوسط الى دون مستويات الفقر اضعف من ترابط الناس فيما بينهم وكذلك مع الرموز الوطنية على وجه العموم.

د. اللجوء الى الاختطاف والقتل والتعذيب والتنكيل بالانسان العراقي والخيانة والمخاتلة والمراوغة اساليب للتعامل مع عموم المواطنين بدفعهم الى وسمه اي الحاكم ومن معه بتلك الخصائص السلبية وقللت من معايير احترامهم له، وبالتالي افقد الحاكم وحزبه قدراتهم في التاثير بالمشاعر الوطنية. ز. التفضيل بمسالة التعيين في قيادات الأجهزة الأمنية والقوات المسلحة والسلك الدبلوماسي ورئاسة الجمهورية على اقرباء الرئيس واقراد عشيرته وابناء القرية والمدينة كون شعورا لدى الكثيرين وكان الدولة هي صدام وعشيرته وهذا شعور يضعف كثيرا الارتباط بالوطن. تلك أمثلة اوردناها للمزيد من الايضاح وللدقة في الاستنتاج على بعض عوائد النفط ومفاصل التجارة الخارجية والداخلية وخزين الذهب في الخارج والحسابات السرية بالعملة الأجنبية، منها نصل الى تصور لمقدار السلب والنهب المباشر من قيادة الدولة والتجاوز غير المباشر لعديد من الاهالي كرد فعل منطقي لهذا السلوك من جانب وسعي لاستمرار حياتهم في ظروف صعبة من جانب اخر.

وعلى اساسها يمكن القول ان هذه الخاصية التي تنامت مستوياتها واتسعت شموليتها عطلت معايير الضبط السلوكي لشريحة ليست قليلة من المجتمع بعد ان:

سارع الأغنياء المستغلون لمزيد من الاستغلال مدفوعين بهوس الاكتناز وقلق الحفاظ على الأمن الذاتي.

سعى الفقراء في كل الاتجاهات لسد حاجات البقاء على قيد الحياة من المال العام الذي شيعه الحاكم سفاً ووضع له حراسا من طرفه بانوا خصما لطالبي الحاجات.

2. اختلال الروح الوطنية

الوطنية شعور بالانتماء ورغبة بالدفاع وميل الى التالف واحساس بالرضى والانتماء وامان في وطن رموزه الأرض والناس والنظام لتحقيق الزمن.

وهي على وجه العموم ليست ثابتة او بمعنى اخر لبناتها نسبي، تتاثر مستوياته سلباً او ايجابا بالعديد من المتغيرات بينها مدى التمتع بالحقوق والاحساس بالعدالة والمساواة وحريات تحقيق الأماني والأهداف وغيرها امورا يتعلق مقدار تعزيز وجودها بالادارة العامة للمجتمع واساليبها في التعامل معه افرادا وجماعات. واذا ما اردنا مناقشة طبيعة هذه الادارة في العراق خلال الثلاثين سنة الأخيرة ومدى انعكاساتها على الروح الوطنية نجد:

ا. ان التفرد بالسلطة وادارة المجتمع على وفق الدكتاتورية اضعف من علاقة الفرد بالدولة كاحد رموز الوطنية.

ب. دخول حربين مختلفتين اهدافهما مبهمة ونتائجهما سلبية وخسائرهما المادية والبشرية فادحة احبط عموم العراقيين واثار مشاعر عدوانهم على الدولة ونظام الحكم.

ج. التحول في مستوى المعيشة من الجيد والوسط الى دون مستويات الفقر اضعف من ترابط الناس فيما بينهم وكذلك مع الرموز الوطنية على وجه العموم.

د. اللجوء الى الاختطاف والقتل والتعذيب والتنكيل بالانسان العراقي والخيانة والمخاتلة والمراوغة اساليب للتعامل مع عموم المواطنين بدفعهم الى وسمه اي الحاكم ومن معه بتلك الخصائص السلبية وقللت من معايير احترامهم له، وبالتالي افقد الحاكم وحزبه قدراتهم في التاثير بالمشاعر الوطنية. ز. التفضيل بمسالة التعيين في قيادات الأجهزة الأمنية والقوات المسلحة والسلك الدبلوماسي ورئاسة الجمهورية على اقرباء الرئيس واقراد عشيرته وابناء القرية والمدينة كون شعورا لدى الكثيرين وكان الدولة هي صدام وعشيرته وهذا شعور يضعف كثيرا الارتباط بالوطن. تلك أمثلة اوردناها للمزيد من الايضاح وللدقة في الاستنتاج

> ان هذه الصورة في مجتمع اعتاد الالتزام بمعايير الشرف قيمة ذات صلة بالعفة والنزاهة والايمان، دافع عنها الناس في الماضي بقناعة تامة وقبلوا تقويم الآخرين لسلوكهم على أساسها، قد حرفت كثيرا وبشكل سريع ومريب لأن مقاضاة من أخل بها من أولاد الرئيس ليست جائزة والثار لمن دنسها من أولاد خيرالله ليست ممكنة، و قتل من نشرها من أولاد المجيد ليست سهلة، وغسل العار بقتل البنت غير المسؤولة عما حصل لها غير منصفة

1996 عن الشخص الذي باع سيارته بعدة ملايين من الدنانير وجاء بفلوسه اكجاساً وضعها في غرفة نومه وغادر البيت لينام خارجه خفرا، وبعد منتصف الليل شعرت الزوجة بشخصين ملثمين داخل غرفة نومها وكان للزوج مسبسا اعتاد تركه مع الزوجة التي سحبته من شدة خوفها واطلقت النار على الملثمين فاردتهما قتلى، وبعد ان حضرت الشرطة واستفاقت من الصدمة ورفع اللثام عنهما تبين ان المقتولين هما ابيها واخيها، وقد جاءا بدافع السرقة.

ج . التواصل والتواد والتراحم

نصب صدام حسين نفسه حاكما وحكما وقاضيا وواعظا ومرشدا ومنفذا للاحكام في كل المجالات الشرعية وغير الشرعية، وبهذا التقليد زوج الكثير دون ما وجه حق وطلق الكثير دون ما مسوغ، بانا الخطوة بنفسه عندما طلق زوجة من زوجها واخذها زوجة ثانية، مقدما للزوج المخلوع مكرمة تعينه مديرا عاما لتنازله الهادئ.

## تعدد الزوجات

علما انه اي صدام قد شرع قانونا ابان تلك الحقبة وما قبلها يحرم بموجبه تعدد الزوجات (الا بحدود معينة مثل المرض وعدم الانجاب مقرونا بموافقة الزوجة الاولى) لكنه اول من خرقه كما ورد اعلاه معطيا المجال لرفاقه في القيادة الحزبية والدولة للتقليد في حمى تسارع فيها الكثير منهم للزواج ثانية وربما ثالثة او رابعة بعضها بقي طي الكتمان حتى وقتنا الحاضر.

لقد حصحص صدام على هذا الحق في شريعة الغاب وتمادى في تعميمه على باقي العراقيين حيث امر العديد من الأزواج بتطليق زوجاتهم بعد مقابلة الزوجة شاكية امرا لا يستحق الشكوى او عارضة عدم رغبتها في الاستمرار بعصمة الزوج، وزوج في ذات الوقت أخريات دون موافقة الأهل وشطب من دفاتر السجل المدني نسب ابناء الى ابائهم الاصليين ونسبهم الى اباء ليسوا حقيقيين وغيرها امور ومشاكل كان القضاء يستغرق للفصل في الشرعية منها الشهرا وربما سنوات معطيا اطرافها فرصة التواصل واعادة التواد والتراحم، وهذا امر لم يقتصر على الاغراب بل وشمل الاقرب له في التسلسل العائلي عدنان خير الله الذي قتل في حادث طيارة مفتعل وتبين في العزاء ظهور امراة ادعت انها زوجته (الثانية) ولها منه ولد، ابرزت الوثائق الثبوتية التي تؤكد صحة كلامها، حيث امر الرئيس هذه السيدة بالسكوت وتغيير شهادة ميلاد الطفل ونسبه الى احد اقاربها. هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد طبق صدام نظام الشمولية والتعميم للعقوبات التي يفرضها بقصد الردع والتخويف، فالمعدوم لاي سبب كان يتحمل اقرباؤه حتى الدرجة السابعة بداية وحتى الدرجة الاولى في السنوات الأخيرة الأثار الجانبية للذنب الذي لم يرتكبه، فيفصل من كان في وظيفة حساسة او ينقل الى اخرى اقل اهمية ومكسبا في احسن الاحوال. وقد يسجن اقرباء شخص ترك العراق تفاديا للاعدام، او اختفى من بين اهله او من بين قضبان السجن ولا يسلم من ذلك حتى الامهات وان كانت اعمارهن قد جاوزت السبعين، فبات العديد ينكر ان له اخ او ابن عم مقيم في الخارج ويتبرءوا والعشيرة سريعا من ابن لهم اعلن معارضته للنظام بعين اخاه والابن المنزوج ان يقدم شيئا لوالديه بعد ان يشاهد اولاده يتضورون جوعا وان جاء الاخ او الاب والقريب منتخبا لم يجد في الذين انتخاهم ما يحفظ ماء وجهه فاكتفك الغالبية بتدبون حظهم العاثر منتظرين يوم الفرج الذي لا دور لهم في التعجيل بقدومه.

وهذه امور لم يؤد تكرارها الى عدم قدرة الشاخر اكثر منعة عندما تكون تلك البانسات من عوائل معروفة باصولها الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية واحيانا من بنات المسؤولين في الدولة والحزب.

ان هذه الصورة في مجتمع اعتاد الالتزام بمعايير الشرف قيمة ذات صلة بالعفة والنزاهة والايمان، دافع عنها الناس في الماضي بقناعة تامة وقبلوا تقويم الآخرين لسلوكهم على أساسها، قد حرفت كثيرا وبشكل سريع ومريب لأن مقاضاة من أخل بها من أولاد الرئيس ليست جائزة والثار لمن دنسها من أولاد خيرالله ليست ممكنة، و قتل من نشرها من أولاد المجيد ليست سهلة، وغسل العار بقتل البنت غير المسؤولة عما حصل لها غير منصفة

وان كان لصدام الدور الأول في خرق هذه القيمة الاجتماعية فقد جاء الحصار بظروفه القاسية للاجهاز على ما تبقى منها بعد ان وجد الابن صعوبة بتلبية واجب الزيارة لوالديه وهم في محافظة اخرى بسب عدم امتلاكه اجرة الطريق او خشية ترك البيت لاحتمالات السرقة، واعتاد تاجيلها شهريا ومن ثم سنويا او في المناسبات في احسن الاحوال، فابتعد عنهم واتسعت المسافة او الفجوة الاجتماعية بينهم فضعفت رابطة التواصل والتواد بهم.

وهذه قيم عندما تخرق بشكل حاد ستتشكل بدلا عنها قيم سلبية مثل القسوة والأنانية فبات العديد غير قادر على التفكير الا بمصيبته هو وبمستقبله هو وبمكاسبه هو وتفكيره هذا سحبه الى تغليب مصالحه الشخصية على المصلحة العامة اولا وعلى مصالح الآخرين حتى القريبين منه ثانيا.

هـ. النخوة والتكافل

ابير العراق في الثلاثين سنة الأخيرة بطريقة تفضي الى التجزئة والعزل والتفريق بدءا من العائلة والعشيرة مرورا بالمحلة والقرية وانتهاء بالعراق اقوام وطوائف. وكان للقسوة الرقابة الشعبية والاصرار على استمرارها من قبل القيادة الأثر الكبير في تلك برغم ادراك بعضهم من كان في الجهاز الحزبي سلبياتها الجانبية. وادى العراقيين امثلة كثيرة عن هذا الموضوع بينها على سبيل التوضيح ما دار في اجتماع المالك المتقدم للحزب عام 1986 الذي اداره طه ياسين رمضان، وسال فيه عضو شعبة عن جدوى قبول تقارير معلومات عن اعمال واتجاهات آخرين في الحزب وخارجه يتبين في العديد منها ان صياغتها كانت بطابع العداوة ومصداقيتها مشكوك فيها ، فكان رد رمضان انذا لو افترضنا ان مائة تقرير وصلتنا وكان تسعون منها ليس صحيحا وعشرة او اقل منها فيه بعض الصحة فالحزب هو الرابح لاننا في هذه الحالة ضمنا امن الحزب والثورة وبالتالي نؤكد الالتزام به نهجا عاما.

ان تطبيق هذه الفلسفة الرقابة الشعبية الثار التوتر وعدم الاطمئنان بعد ان تبين ان الخطا في صياغتها نسبته عالية، خاصة في ظروف العراق التي اصبح الاقتراء فيها قليلا والذاتية بينها عالية للحد الذي انتقلت هذه الفلسفة وتطبيقاتها خارج الجهاز الحزبي الى عراقيين اخرين يمثازون بضعف شخصيتهم وزيادة نسبة الانتهازية فيها، فاصبحت اقة زادت من مقادير بعضهم والكراهية، وحجمت كثيرا من اتجاهات عموم العراقيين للنخوة، والتكافل الاجتماعي، خاصة بعد اقترانها بالمكاسب السخية التي يقدمها الرئيس في بعض الحالات دون ان يعوا ان التجسس على بعضهم والصاق التهم بالبعض الآخر حتى وان كانت تحت مظلة الوطنية والضرورات المرحلية ستؤدي الى تحطيم الوحدة الاجتماعية للعائلة وتسفط من حساباتها قيم النخوة والايثار، بالاضافة الى ما تثيره من قلق وعدم اتزان خاصة عندما يجد غالبية المجتمع انهم متهمون من قبل النظام وحركتهم تتاسس على السعي لاثبات البراءة.

ان الأمثلة المذكورة ممارسات مهدت كثيرا لتغيير اتجاهات العراقيين وقيمهم وجاءت اوضاعهم الاقتصادية المتدنية وظروفهم الأمنية غير المضمونة بعد انتفاضة عام 1991 واستمرار الحصار لتكمل ما بداه النظام في هذا الجانب، اذ ان الجوع على سبيل المثال لم يفسح المجال للاخ ان يعين اخاه والابن المتزوج ان يقدم شيئا لوالديه بعد ان يشاهد اولاده يتضورون جوعا وان جاء الاخ او الاب والقريب منتخبا لم يجد في الذين انتخاهم ما يحفظ ماء وجهه فاكتفك الغالبية بتدبون حظهم العاثر منتظرين يوم الفرج الذي لا دور لهم في التعجيل بقدومه.

وهذه امور لم يؤد تكرارها الى عدم قدرة

> ان التناقض الظاهري في الخطاب السياسي الأمريكي المعلن المعادي لايران مع توجهها لاجراء مباحثات بشان ملف طهران النووي و العراق عكسته تصاعد الحملات الدبلوماسية يوما بعد يوم بين واشنطن وط